

رايات الإسلام

١٠

في المنصوورة

بقيم : وصفى آل وصفى

الطبعة الثانية



دارالمعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كوريش ليل - القاهرة ج . م . ع .

رايات الإسلام

بَدَأَ الْقَرْنُ السَّابِعُ الْمِيلَادِيُّ وَالْعَرَبُ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ ضِعَافٌ
وَمُتَفَرِّقُونَ ، يَطْغَى عَلَيْهِمُ الْفُرسُ بِالْعِرَاقِ - فِي الشَّرْقِ . . وَالرُّومُ
بِالشَّامِ - فِي الشَّمَالِ . .

وَبِعَثَ الرَّسُولُ ﷺ فَغَيَّرَ الْإِسْلَامُ حَيَاةَ الْعَرَبِ تَغْيِيرًا
تَامًا . .

أَمَدَهُمْ بِقُوَّةِ حَقَّقَتِ الْمُعْجَزَاتُ ، وَجَمَعَتْهُمْ - فِي ظِلِّ
رَايَاتِهِ - طُمَأْنِينَةً نَفْسِيَّةً تَتَّبَعُ مِنْ سَمَاحَتِهِ . . وَحَمَاسَةً بَطُولِيَّةً
تَبْعُهَا فِيهِمْ أَهْدَافُهُ الْعَظِيمَةُ . .

وَكَانَتْ « مَكَّةُ » الْمَدِينَةُ الْأُولَى فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الَّتِي تَمْتَدُّ
حَوَالِي أَلْفِ كَيْلُو مِترٍ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ . . وَمَا يَزِيدُ عَلَى
ذَلِكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ ، لَكِنَّ هِجْرَةَ الرَّسُولِ ﷺ
نَقَلَتْ مَقَرَّ الْقِيَادَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى « يَثْرِبَ » الَّتِي أَصْبَحَتْ تُعْرَفُ
بِاسْمِ « الْمَدِينَةِ » . .

وَتُوفِّيَ الرَّسُولُ فِي الْعَامِ الْحَادِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ - السَّنَةِ
 ٦٣٢ الْمِيلَادِيَّةِ - فَتَتَابَعِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بِالْمَدِينَةِ ، وَمِنْهَا
 خَرَجَتْ رَايَاتُ الْإِسْلَامِ لِتُوْحِدَ شِبْهَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، ثُمَّ
 انْطَلَقَتْ إِلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ . . تُبَشِّرُ الشُّعُوبَ بِالتَّحْرِيرِ
 وَتُرْفُ إِليهَا الْعَدْلَ وَالْحُرِّيَّةَ . . وَتَصْحَبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَعَارِكِ
 خَالِدَةٍ مَا تَزَالُ أَخْبَارُهَا تُرَوَى فَتُبِيرُ الْإِعْجَابَ لَدَى الْقَادَةِ
 وَالْجُنُودِ ، وَتَغْرِسُ الْعِزَّةَ فِي نُفُوسِ النَّاشِئَةِ . .



في المنصورة

١

في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي جاءت أولى الحملات الصليبية إلى بلاد الشام ، يقودها أمراء أوربا ويباركها بابا «روما» . . الرئيس الديني للكنيسة الكاثوليكية . .

جاءت تحمّل شعار الصليب على أعلامها ، وشهوة السيطرة والاستغلال في قلوب قادتها . .

ومنذ ذلك الحين والصليبيون يتطلعون إلى مصر ، ولا يكفون عن مهاجمتها براً وبحراً . أدركوا أن مصر هي مركز الثقل في حركة المقاومة الإسلامية التي لم تهدأ يوماً منذ أغاروا على الأرض المقدسة حتى اندحروا وأنسحبوا منها ، فحاولوا القضاء على تلك القوة ليتيسر لهم بعد ذلك إخضاع

الأقطار الإسلامية كلها . لكن العناية الإلهية بعثت في الأمة الإسلامية رجالاً حملوا راياتها عالية خفاقة ، وتصدوا للعدوان كلما حشد العدوان حملة صليبية جديدة .

من هؤلاء الرجال البطل الكبير « صلاح الدين الأيوبي » ، الذي انتصر على الصليبيين انتصاراً حاسماً في معركة « حطين » المشهورة عام ٥٨٣ الهجري ١١٨٧ الميلادي واسترد مدينة « القدس » في العام نفسه . .

غير أن وفاة « صلاح الدين » عام ٥٨٩ الهجري ، ١١٩٣ الميلادي ، تركت فراغاً كبيراً في الوحدة الإسلامية . . تلك الوحدة التي كانت السبب الرئيسي في هزيمة الصليبيين . ثم اختلف أبناؤه وإخوته وأبناء عمه ، وتنازعا فيما بينهم ، فأصابهم الضعف جميعاً . .

والضعف أطمع فيهم الصليبيين من جديد !
مضت سبع سنوات على وفاة صلاح الدين والحروب الداخلية تمزق الأقطار الإسلامية ، ثم هب أخوه الأكبر « أبو بكر بن أيوب » فأمسك بزمام الأمور في القاهرة وتلقب

بِالْمَلِكِ «الْعَادِلِ» . . وَأَعَادَ تَوْحِيدَ مِصْرَ وَالشَّامِ . .
وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَ مُلُوكُ أَوْرَبَا وَأَمْرَاؤُهَا يَعْمَلُونَ لِانْتِزَاعِ
بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَابَا رُومًا يَدْعُو لِإِعْدَادِ حَمَلَةٍ
صَلِيبِيَّةٍ - الْحَمَلَةُ الرَّابِعَةُ - يَكُونُ هَدْفُهَا الْاسْتِيلَاءُ عَلَى مِصْرَ ،
وَاسْتِحْدَامَ مَوْقِعِهَا الْجُغْرَافِيِّ الْمُمْتَازِ فِي احْتِلَالِ مِنتَقَةِ «الشَّرْقِ
الْأَوْسَطِ» .

غَيْرَ أَنَّ هُجُومَ تِلْكَ الْحَمَلَةِ عَلَى مِصْرَ لَمْ يُسْفِرْ إِلَّا عَنْ غَارَةٍ
لَا قِيَمَةَ لَهَا ، اسْتَهْدَفَتْ مِينَاءَ «رَشِيد» عَامَ ١٢٠٤ الْمِيلَادِيِّ ،
عُقِدَتْ بَعْدَهَا الْهَدْنَةُ بَيْنَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَمَلِكِ «عَكَا»
الصَّلِيبِيِّ . .

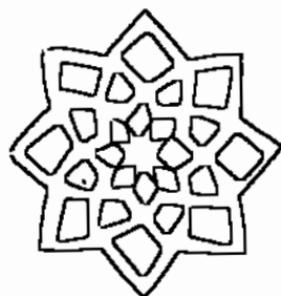
لَكِنَّ بَابَا رُومًا لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ ، وَرَاحَ يَسْتَصْرِخُ الْمُلُوكَ
وَالْأَمْرَاءَ الْمَسِيحِيِّينَ وَيُحَرِّضُ رِعَايَاهُمْ . . دَاعِيًا لِحَمَلَةٍ صَلِيبِيَّةٍ
جَدِيدَةٍ تُحَقِّقُ مَا كَانَ يَطْمَعُ فِيهِ مِنْ نَفُوزِ دِينِي عَلَى مَسِيحِي
الشَّرْقِ وَأَرْسَلَ فِي عَامِ ١٢١٦ الْمِيلَادِيِّ يَطْلُبُ مِنَ الْمَلِكِ
الْعَادِلِ تَسْلِيمَ مَدِينَةِ الْقُدْسِ ، وَيُهْدِدُهُ بِغَزْوِ مِصْرَ إِذَا لَمْ
يَفْعَلْ . .

وَأخِيرًا جَاءَتِ الْحَمَلَةُ الصَّلِيْبِيَّةُ - الْخَامِسَةُ - إِلَى مِصْرَ ،
وَنَزَلَتْ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مِيْنَاءِ « دِمِيَاط » . وَكَانَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ
الَّذِي بَلَغَ الْخَامِسَةَ وَالسَّبْعِينَ يُقِيمُ بِدِمِشْقَ مَرِيضًا ، فَلَمْ يَلْبَثْ
أَنْ تُوفِّيَ عِنْدَمَا صَدَمَتْهُ أَخْبَارُ الْعُدْوَانِ الصَّلِيْبِيِّ . وَتَوَلَّى الْأَمْرَ
مِنْ بَعْدِهِ . . . ابْنُهُ . . . « نَاصِرُ الدِّينِ » الْمَعْرُوفُ بِاسْمِ الْمَلِكِ
« الْكَامِلِ » . . .

أَسْرَعَ الْمَلِكُ الْجَدِيدُ مِنَ الْقَاهِرَةِ إِلَى « فَارَسْكُور » عَلَى فَرْعِ
دِمِيَاطَ مِنْ نَهْرِ النَّيْلِ اسْتِعْدَادًا لِقِتَالِ الصَّلِيْبِيِّينَ ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ
تَمَكَّنُوا مِنْ دُخُولِ دِمِيَاطَ عَامَ ١٢١٩ الْمِيلَادِيِّ ، فَفَضَّلَ
الْكَامِلُ أَنْ يَنْتَظِرَ وَصُولَ الْمَدَدِ مِنَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ . . . وَغَادَرَ
فَارَسْكُورَ إِلَى الْجَنُوبِ حَيْثُ اخْتَارَ لِمَعْسَكَرِهِ مَوْقِعًا جَدِيدًا عَلَى
النَّيْلِ يَحْمِيهِ الْمَاءُ مِنَ الشَّمَالِ وَمِنَ الْغَرْبِ . وَبَيْنَمَا كَانَ
الصَّلِيْبِيُّونَ فِي دِمِيَاطَ مَشْغُولِينَ بِالْخِلَافِ بَيْنَ قَادَتِهِمْ ،
وَمُنْهَكِينَ فِي تَحْوِيلِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ إِلَى كَنِيسَةٍ كَانَ الْمَلِكُ
الْكَامِلُ يُحْصِنُ مَعْسَكَرَهُ الْجَدِيدَ وَيَبْنِي فِيهِ الْبُيُوتَ
وَالْمَخَازِنَ . . .

وَفِي عَامِ ١٢٢١ الْمِيلَادِي سَارَ الصَّلِيبِيُّونَ جَنُوبًا يُرِيدُونَ
 بُلُوغَ الْقَاهِرَةِ ، فَاعْتَرَضَتْهُمُ الْقُوَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ . . وَنَجَحَتْ فِي
 الْإِتِّفَافِ مِنْ حَوْلِهِمْ . . بَرًّا وَفِي النَّيْلِ . . فَقَطَعَتْ عَلَيْهِمْ خَطًّا
 الرَّجْعَةَ ، وَحَالَتْ دُونَ وُصُولِ النَّجْدَاتِ إِلَيْهِمْ مِنْ دِمْيَاطِ . .
 وَسُرْعَانَ مَا اضْطُرَّ الصَّلِيبِيُّونَ إِلَى طَلَبِ الصُّلْحِ ، وَالْجَلَاءِ
 عَنِ الْأَرْضِ الْمَصْرِيَّةِ . .

وَبِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ أَقَامَ « الْكَامِلُ » احْتِفَالًا كَبِيرًا بِمُعْسَكَرِهِ الَّذِي
 اسْتَعْرَقَ بِنَاوُهُ ثَمَانِيَةَ عَشْرَ شَهْرًا وَأَصْبَحَ مَدِينَةً صَغِيرَةً ، وَمُنْذُ
 ذَلِكَ الْحَيْنَ عُرِفَ بِاسْمِ « الْمَدِينَةِ الْمَنْصُورَةِ » !
 وَفِي الْمَنْصُورَةِ . . انْتَصَرَتْ رَايَاتُ الْإِسْلَامِ انْتِصَارًا
 آخِرًا . . عَظِيمًا !



تُوْفِيَ «الْكَامِلُ» عام ١٢٣٩ المِلاَدِي فَنَشِبَ الْخِلاَفُ بَيْنَ
 وَوَلَدَيْهِ ، لَكِنَّ أَكْبَرَهُمَا - «الصَّالِحَ أَيُّوبَ» - اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفِرَ
 بِالْحُكْمِ بَعْدَ مَعَارِكٍ كَثِيرَةٍ مَعَ الْأَمْرَاءِ الْأَيُّوبِيِّينَ .
 وَتَصَدَّى «الصَّالِحُ أَيُّوبُ» لِلصَّلِيبِيِّينَ فَأَوْقَعَ بِهِمْ هَزَائِمَ
 مُتَلَاخِجَةً ، ثُمَّ حَاصَرَهُمْ بَرًّا وَبَحْرًا فِي «عَسْقَلَانَ» وَطَرَدَهُمْ مِنْهَا
 عام ١٢٤٧ المِلاَدِي . .

وَتَفَرَّغَ بَعْدَ ذَلِكَ لِتَرْمِيمِ الْحُصُونِ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ . .
 لَكِنَّ الصَّلِيبِيِّينَ لَمْ يَفِيقُوا مِنْ أَحْلَامِهِمْ ، وَلَمْ يَرْجِعُوا عَنْ
 غِيَّتِهِمْ . .

مَرَضَ مَلِكُ فَرَنْسَا «لُويْسُ» التَّاسِعُ ، فَتَذَرَّ لِلَّهِ نَذْرًا . .
 لَمْ يَجِدِ الْمَلِكُ الْأُورُبِّيُّ مَا يَنْذِرُهُ لِلَّهِ ، إِنْ شَفَاهُ ، إِلَّا أَنْ
 يَخْرُجَ إِلَى الشَّرْقِ عَلَى رَأْسِ حَمَلَةٍ صَلِيبِيَّةٍ !
 وَرَحَّبَ الْبَابَا بِتَذَرِّ الْمَلِكِ الْفَرَنْسِيِّ .

وَنَشِطَ الْاِثْنَانِ - الْمَلِكُ وَالْبَابَا - لِذَعْوَةِ الْمَسِيحِيِّينَ فِي أَنْحَاءِ

البحر المتوسط



حملة
لويس التاسع على مصر

obeikandi.com

أوربا للمشاركة في الحملة ، وسعى الاثنان إلى التحالف مع «التتار» الوثنيين لينفضوا على المسلمين من ناحية الشرق، على حين تطبق عليهم حملة «لويس» من ناحية الغرب !

لم يستجب التتار لمحاولات الصليبيين ، المتكررة ، فقاد «لويس» حملته إلى مضر بعد استعدادات استمرت ثلاث سنوات . بدأت قوات الحملة تتجمع في جزيرة «قبرص» ، ثم تحركت منها إلى الشاطئ المصري ، واحتلت ميناء دمياط في منتصف عام ١٢٤٩ الميلادي .

وعلى الرغم من مرض «الصالح أيوب» الشديد ، فقد هرع من دمشق حيث كان يقيم . تصحبه زوجته «شجرة الدر» . وجاء إلى مضر محمولا على أكتاف رجاله ، ثم نقلته سفينة في النيل إلى المنصورة ، وهناك نزل بالقصر الذي بناه فيها «الكاميل» واتخذة مقرا لقيادته . .

وسرعان ما احتشد بالمنصورة جيش «المماليك البحرية» الذي حرص «الصالح أيوب» على تنظيمه وتقويته منذ تولي الحكم ، وكذلك وفد إليها عدد كبير من المقاتلين البدو . .

وَرِجَالِ الدِّينِ .. وَالصُّنَّاعِ .. وَرَسَا عَلَى شَاطِئِهَا مُخْتَلَفُ
الأنواعِ مِنَ السُّفُنِ الحَرَبِيَّةِ ..
وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى التَّقَى الجَانِبَانِ : الإِسْلَامِيُّ
وَالصَّلِيبِيُّ - فِي صِرَاعٍ شَدِيدٍ !



نَظَّمَ «الصَّالِحُ أَيُّوبُ» غَارَاتٍ خَاطِفَةً عَلَى الصَّلِيبِيِّينَ فِي
دِمْيَاطَ ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ كَانَ الْمِصْرِيُّونَ يَعُودُونَ إِلَى الْمَنْصُورَةِ
بِعَدَدٍ مِنَ الْأَسْرَى . فَلَمَّا عَزَّزَتِ النَّجْدَاتُ قُوَاتَ «لُؤَيْسَ»
خَرَجَ مِنْ دِمْيَاطَ مُتَّجِهَاً إِلَى الْمَنْصُورَةِ ، تَسِيرُ سَفُنُهُ فِي النَّيْلِ
وَتَزْحَفُ كِتَابُهُ بَرًّا . . .

وَبَلَغَتْ أَخْبَارُ الْحَمَلَةِ «الصَّالِحِ أَيُّوبَ» ، فَاعْتَزَمَ الصُّمُودَ
فِي الْمَنْصُورَةِ وَمَنَعَ الصَّلِيبِيِّينَ مِنَ الْأَنْدِفَاعِ إِلَى الْقَاهِرَةِ . لَكِنَّ
الْقَدَرَ لَمْ يُمَهِّلْهُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوفِّيَ قَبْلَ أَنْ يَقْتَرِبَ الْأَعْدَاءُ مِنَ
الْمَنْصُورَةِ . . .

عِنْدَيْهِ بَادَرَتْ زَوْجَتُهُ «شَجَرَةُ الدَّرِّ» إِلَى مُعَالَجَةِ الْمَوْقِفِ
بِشَجَاعَةٍ وَدَكَاءٍ . . .

أَخْفَتُ خَبْرَ مَوْتِهِ ، فَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ غَيْرُ الْأَمِيرِ «فَخْرٍ الدِّينِ»
الْقَائِدِ الْعَامِّ لِلْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ ، وَخَادِمِ الْمَلِكِ . . .
أَعْلَنْتُ أَنَّ زَوْجَهَا مَرِيضٌ لَا يَسْتَقْبِلُ غَيْرَ أَطِيَابِهِ . . . وَتَعَاوَنَ

مَعَهَا هَوْلًا الْأَطْيَاءُ فَكَمُوا السَّرَّ ، وَبَعَثَتْ تَسَدَّعِي إِبْنَهُ
« طُورَان شَاه » الَّذِي كَانَ يُقِيمُ خَارِجَ مِصْرَ . . وَجَمَعَتْ قُوَادَ
الْمَمَالِكِ الْبَحْرِيَّةِ تَرَسُّمٌ مَعَهُمُ الْخُطَطَ لِيُوقِفَ التَّقَدُّمَ
الصَّلِيبِيِّ . .

غَيْرَ أَنَّ الصَّلِيبِيِّينَ تَمَكَّنُوا مِنْ دُخُولِ فَارَسْكُورَ ، وَمِنْهَا
سَارُوا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى شِمَالِ الْمَنْصُورَةِ . وَهَنَّاكَ أَقَامُوا
مُعَسَّكَرَهُمْ عَلَى الصَّفَةِ الشَّمَالِيَّةِ بِقَرْعِ النَّيْلِ الْمَعْرُوفِ بِاسْمِ
« بَحْرِ أَشْمُومِ طَنَاحِ » ، وَجَاءَتْ سُفُنُهُمْ فَرَسَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ
الْمُعَسَّكَرِ . .

وَشَرَعُوا يَبْنُونَ جِسْرًا مِنَ السُّفُنِ وَالْأَخْشَابِ ، لِيَعْبُرُوا عَلَيْهِ
النَّهْرَ إِلَى الْمَنْصُورَةِ ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَنْجَحُوا فِي إِتْمَامِ مَشْرُوعِهِمْ
عَلَى الرَّغْمِ مِنَ الْمَحَاوَلَاتِ الْعَلِيدَةِ الَّتِي قَامُوا بِهَا ، فَقَدَّ
تَصَدَّى لَهُمُ الْمِصْرِيُّونَ بِقِيَادَةِ الْأَمِيرِ « فَخْرِ الدِّينِ » مِنْ مُعَسَّكَرِهِ
الْمُوَاجِهِ لَهُمْ ، وَرَاحُوا يَرْمُونَهُمْ بِالْقَدَائِفِ الْمُلْتَهَبَةِ فَيَحْرِقُونَ
مَا يَبْنُونَهُ أَوَّلًا بِأَوَّلِ . . وَكَلَّمَا تَقَدَّمُوا فِي النَّهْرِ مَسَافَةً قَصِيرَةً حَفَرَ

المضريون الضفة من ناحيتهم بقدر تقدمهم ، فبقي المسافة ثابتة .

وفي الوقت نفسه كان الفرسان المضريون يعبرون بحر أشموم ويفاجئون الصليبيين في قلب معسكرهم ، كما أن الأهالي ممن يجيدون السباحة كانوا ينزلون إلى الماء فيقتربون من معسكر الصليبيين ويتخطفون بعضهم !

وكاد اليأس يغلب الملك « لويس » وقواده عندما تبينوا أن المضريين لن يتمكنوهم من إقامة الجسر أبداً ، لكن الخيانة فتحت لهم باباً جديداً من الأمل . . فقد دلهم أحد الخونة على مخاضة عبر بحر أشموم ، بعيدة بعض الشيء عن المنصورة ، فاجتازوها إلى الضفة الأخرى . .

وقبض الخائن ثمن خيانتة مبلغاً كبيراً من الثقود الذهبية !

بَدَأَ الصَّلِيبِيُّونَ يَعْبُرُونَ النَّيْلَ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخِيرَةِ مِنَ اللَّيْلِ
بِقِيَادَةِ «الْكُونْت - آرتوا» شقيقِ الْمَلِكِ «لويس» ، فَلَمَّا انْتَشَرَ
ضَوْؤُ الْفَجْرِ فُوجِيَ الْفُرْسَانُ الْمِصْرِيُّونَ الْمُكَلَّفُونَ بِالْحِرَاسَةِ عِنْدَ
الْمَخَاضَةِ بِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَعْدَاءِ يَصْطَفُونَ عَلَى الشَّاطِئِ الْجَنُوبِيِّ
لِلنَّهْرِ . وَرَأَتْ قُوَّةَ الْحِرَاسَةِ الْمِصْرِيَّةِ نَفْسَهَا أضعفَ مِنْ أَنْ
تَثْبِتَ لِلصَّلِيبِيِّينَ . فَاسْرَعَتْ مُتَرَاجِعَةً إِلَى مُعَسْكَرِ الْأَمِيرِ
«فَخْرٍ الدِّينِ» . . .

وَكَانَتْ تَعْلِمَاتُ الْمَلِكِ «لويس» نَقَضِي بَانَ تَنْتَظِرَ الْفِرْقِ
التي تَجْتَازُ الْمَخَاضَةَ أَوَّلًا إِلَى أَنْ يَتِمَّ عُبُورُ بَقِيَّةِ الْجَيْشِ ، لَكِنَّ
«الْكُونْت آرتوا» شَاهَدَ الْفُرْسَانَ الْمِصْرِيِّينَ يَرْتَدُّونَ فَأَرَادَ انْتِهَازَ
الْفُرْصَةِ لِتَحْقِيقِ نَصْرِ عَاجِلٍ يُنْسَبُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ . . . وَانْدَفَعَ
بِطَارِدِ الْمِصْرِيِّينَ بِمَنْ مَعَهُ . . .

وَجَاءَ الْفُرْسَانُ الْمِصْرِيُّونَ إِلَى مُعَسْكَرِ الْأَمِيرِ «فَخْرٍ الدِّينِ»
فَوَثَبَ الْقَائِدُ الْمِصْرِيُّ عَلَى جَوَادِهِ وَتَقَدَّمَ فِي عَدَدٍ قَلِيلٍ مِنْ رِجَالِهِ

سنة ١٤١١ هـ

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ

obeikandi.com

لِصَدِّ الْهَجْمَةِ الصُّلَيْبِيَّةِ . . وَاسْتَشْهَدَ مُقَاتِلًا . .

وَسَالَ لُعَابُ « الْكُونْتِ » الْفَرَنْسِيَّ !

الْقَائِدُ الْمَضْرِيُّ قُتِلَ ، وَالْإِضْطِرَابُ بِعُمِّ الْمَعْسَكْرِ فَيَقْرُ
الْجُنُودُ إِلَى الْمَنْصُورَةِ وَمِنْ خَلْفِهِمْ كُلُّ مَنْ كَانَ بِالْمَعْسَكْرِ مِنْ
صُنَاعٍ وَأَهَالِي . .

النَّصْرُ إِذَنْ قَرِيبٌ ، وَمَا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَنْقُضَ عَلَى الْمَنْصُورَةِ
فَتَسْتَلِيمَ لَهُ !

لَمْ يَسْمِعِ « الْكُونْتُ » لِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْقَوَادِ ، وَتَجَاهَلَ
أَمِيرَ شَقِيقِهِ . وَأَنْطَلَقَ إِلَى الْمَنْصُورَةِ فَجَارَاهُ بَقِيَّةُ الْقَوَادِ ،
وَتَحَوَّلَ الْأَمْرُ إِلَى سَبَاقٍ بَيْنَهُمْ نَحْوِ النَّصْرِ الَّذِي خَبِلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ
دَانٍ يَنْتَظِرُ مَنْ يَمُدُّ سَيْفَهُ فَيَقْطَعُهُ !

وَفِي الْمَنْصُورَةِ كَانَتْ تُعَسِّكِرُ فِرْقَةَ الْمَالِكِ الْبَحْرِيَّةَ بِقِيَادَةِ
الْأَمِيرِ « بِيْرَسِ » الَّذِي تَوَلَّى حُكْمَ مِصْرَ فِيمَا بَعْدُ ، وَعُرِفَ
بِاسْمِ « الظَّاهِرِ بِيْرَسِ » . وَكَانَ « بِيْرَسُ » قَدْ رَسَمَ مَعَ شَجَرَةِ
الدَّرِّ خُطَّةَ حَرِّيَّةٍ نَفَّذَهَا بِنَجَاحٍ ، فَأَبْقَى فِرْقَةً مِنَ الْفُرْسَانِ

المضريين في مكن خارج المنصورة . . ووزع بقية الجنود
من ممالك ومضريين على مواقع متفرقة داخل المدينة ،
وأمرهم أن يلزموا مواقعهم حتى تأتيهم إشارته بالهجوم . .
وطلب من الأهالي أن يظلوا في بيوتهم إلى أن تحين
اللحظة المناسبة لاشتراكهم في القتال . .

وهكذا دخل الصليبيون المنصورة فخيّل لقادتهم أنهم
يدخلون مدينة مهجورة ، فرّ منها جندها وهجرها أهلها . .
وتفرق الغزاة في الشوارع يمتنون أنفسهم بالسلب والنهب .
وفجأة تحركت فرقة الفرسان الكامنة خارج المدينة
وأطبقت على الصليبيين من الخلف ، وبرز لهم الممالك
يقاتلونهم ويحيطون بهم . وفي الوقت نفسه هب الأهالي في
أنحاء المدينة . . خرج بعضهم إلى الشوارع يقطع على العدو
خط الرجعة ، وصعد بعضهم إلى الأسطح يرمى الصليبيين
بكل ما تصل إليه الأيدي . .

وسرعان ما انتهت المعركة بعد أن قتل عدد كبير من
الصليبيين ، فيهم « الكونت آرتوا » وفرّ الباقون . وكانت

مَعْرَكَةُ الْمَنْصُورَةِ ، فِي الثَّامِنِ مِنْ فِبرَايِرِ عَامِ ١٢٥٠ الْمِيلَادِي ،
بِدَايَةِ لِسْلِسِلَةِ مِنَ الْهَزَائِمِ أَوْعَمَهَا الْمِصْرِيُّونَ بِالصَّلِيبِيِّينَ . انْتَهَتْ
بِأَسْرِ الْمَلِكِ «لُؤَيْسِ التَّاسِعِ» وَالْآلَافِ مِنْ رِجَالِهِ . . .
وَهَكَذَا دَخَلَتْ الْحَمَلَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ السَّابِعَةَ الْمَنْصُورَةَ ، أُسِيرَةً !
وَفِي الدَّارِ الْمُخَصَّصَةِ لِرئيسِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ ، الْقَاضِي «فَخْرُ
الدِّينِ بْنِ لُقْمَانَ» أَقَامَ «لُؤَيْسِ التَّاسِعِ» فِي حِرَاسَةِ جُنْدِيٍّ
مِصْرِيٍّ هُوَ «الطُّوَّاشِيُّ صَبِيحٌ» إِلَى أَنْ وَافَقَ عَلَى شُرُوطِ
الْمِصْرِيِّينَ لِإِطْلَاقِ سَرَاجِهِ . . .
وَلَمْ يَمْضِ وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى سَقَطَتْ رَايَاتُ الْعُدْوَانِ عَن
دِمِيَّاطَ وَرَفَرَفَتْ فَوْقَهَا رَايَاتُ الْإِسْلَامِ الْمُشْرِقَةِ . . . وَأَنْشَدَ
الشَّاعِرُ الْمِصْرِيُّ «جَمَالَ الدِّينِ بْنِ مَطْرُوحٍ» بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ
يَقُولُ :

قُلْ لِلْفَرَنْسِيِّسِ إِذَا جِئْتَهُ	مَقَالَ صِدْقٍ مِنْ قَوْلِ نَصِيحٍ
أَتَيْتَ مِصْرًا تَبَغْنِي مُلْكَهَا	تَحَسَّبُ أَنْ الزَّمْرَ يَا طَبْلُ رِيحٍ
وَكُلُّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعْتَهُمْ	بِحُسْنِ تَدْبِيرِكَ بَطْنِ الضَّرِيحِ
سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُرَى مِنْهُمْ	إِلَّا قَتِيلٌ أَوْ أُسِيرٌ جَرِيحٍ

وَقُلْ لَهُمْ إِنَّ أَزْمَعُوا عَوْدَةً لِأَخْذِ نَارٍ أَوْ لِفِعْلِ قَبِيحٍ
دَارُ ابْنِ لُقْمَانَ عَلَى حَالِهَا وَالْقَيْدُ بَاقٍ وَالطَّوْاشِي صَبِيحٍ



١٩٩١ / ٣١١٤	رقم الإيداع
ISBN 977-02-3256-4	التزليم الدولي

١ / ٩١ / ٧٦

طبع بمطبع دار المعارف (ج.م.ع.)